الإنحطاط في صور فنية مشوقة ، لايعد - من وجهة النظر الإسلامية - أدباً ذا قيمة، لأنه هلل للحظات ضعف وانكسار في الشخصية الإنسانية ، وليست هذه الشخصية في أحوالها كلها ضعيفة منكسرة خاضعة لشهواتها وغرائزها . وما الأدب الأوربي اليوم إلا صورة مغالى بها . وخاضعة لنظريات حديثة ، لاتختلف عن مرحلة انحطاط الأخلاق في بعض الصور من المجتمع العباسي المترف ، إلا في درجة ذلك الإنحطاط .

وحريّ بنا ونحن نتحدث عن نظرية الإلتزام في الأدب الإسلامي أن نجيب عن هذه الأسئلة : هل هذا الإلتزام المبدع المنسجم مع ذات الإنسان وقف على الأديب المسلم فقط ؟ وهل الأدب الإسلامي لايُخضع المنتمين إليه لأي قيود فنية ؟ ثم هل تعني إسلامية الأدب خلوة من أية متعة وخضوعه للجدية والصرامة ؟ وأخيراً ألا يمكن أن نحصل بناءً على وحدة الفكر الإسلامي على أنماط متشابهة من الأدباء يكرر بعضها بعضاً،لايجد وراءها الأدب طائلاً ، ولايرى إلا نماذج شائهة ؟!!

هذه الأسئلة وغيرها تعرض نفسها في إطار الحديث عن الإلتزام في الأدب الإسلامي،وقد أجاب عن بعضها كثير من نقاد نظرية الأدب الإسلامي،وسوف نعرض إليها بشيء من الإيجاز .

الحق أن التجاوب بين الإنسان والفكر لايحتكره الإسلام لنفسه ، بل إننا نرى حركة التاريخ الإنساني كلها عبارة عن تجسيد لهذا التجاوب بين الإنسان والفكر ، سواء أكان هذا الفكر موحى به من السماء ، أم كان نتاجاً للعقل الإنساني ووليد إفرازات الكائن الإنساني وظروفه ، ولكننا نعتقد أن درجة هذا التجاوب تعتمد على طبيعة (المعتقد) الذي يؤمن به الأديب (فإذا كان المعتقد محدود الآفاق ، لايعالج من قضايا الإنسان إلا جانباً محدّداً ، ولايملك إلارؤية ضيقة ، ولايقدم حلولاً تناسب الفطرة البشرية ومنازعها الأساسية ، إذا كان المعتقد كذلك ، فإن الفرد الذي يعتنقه مقيد في ساحة ضيقة ، ومضطر إلى أن يحشر قضاياه كلها في الزاوية الضيقة التي يحددها معتقده) (٩) .